

أضواء على معركة إيسين

الأستاذ: ابراهيم مياسي

تقديم:

عرف العرب في تاريخهم المعاصر عدة ثورات تحريرية للإعتاق والاستقلال أبرزها الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962 التي حضيت بتأييد شامل وبصدى واسع ونالت من الدعم والمناصرة من قبل الأمة العربية والإسلامية ما لم تتله ثورة أخرى، وخاصة من طرف شعوب المغرب العربي التي ساهمت بالقسط الوافر، وتحولت أراضيهم إلى مراكز خلفية للثوار وقواعد للتدريب إستراتيجي للعمل الثوري، بحيث أصبحت تمثل جسور إمداد حقيقية لداخل الجزائر.

ومن كتابة تاريخ ثورة أور نوفمبر الخالدة بكل أمانة وموضوعية وبأقلام نزيهة يجب علينا الاستفادة من الشهادات الحية ومن وثائق كل الذين شاركوا وأسهموا من قريب أو من بعيد في أحداث الثورة الجزائرية سواء داخل الجزائر أو خارجها حتى تبرز بكل وضوح هذا التاريخ المجيد الذي يعتز به كل عربي ويفتخر، ذلك أن هذه الثورة كانت فريدة من نوعها في تاريخنا، لأنها صنعت لأول مرة ملحة شعبية بهذا العنف والعمق في الجهاد.

وما معركة إيسين يوم 03 أكتوبر 1957م ثم يوم 25 سبتمبر 1958م إلا ومضات مضيئة من هذا التاريخ المشترك للشعب الواحد في القطرين الشقيقين الجزائري والليبي.

الخلفية التاريخية لمعركة إيسين:

إن الكفاح المشترك للإخوة في الجزائر وليبيا متجذر في عمق

التاريخ، ويمكن أن نقف في هذه العجالة على بعض المحطات التاريخية التي خلدت هذا الجهاد نذكر منها مايلي:

أولا مقاومة الشيخ غومة المحمودي للحكم العثماني الظالم - في طرابلس الغرب 1835- 1855 وأمام الضغط الموجه ضده، من داخل الجبل الغربي، لم يبق أمام غومة وزمالاته إلا التوجه إلى جنوب تونس فوجد الدعم والعيون في البداية، غير أن الأوضاع تبدلت ومورست ضده عدة ضغوطات من أطراف عديدة - يضيق المقام لذكرها هنا. فواجه صعوبات جمة جعلت التأثير غومة يلجأ إلى الجزائر ويستقر بوادي سوف في شهر ربيع الآخر 1274هـ الموافق لشهر نوفمبر 1857م، لأنه معظم أنصاره في كل من ليبيا وتونس⁽¹⁾.

لقد وجد الشيخ غومة الحماية والرعاية والعون والدعم من أهل وادي سوف الذين ناصروه وعزروه لهذا أعجب غومة بهذا الموقف النبيل والشجاع، فخلد تواجده بسوف بتسمية أحد أحفاده الذي ولد في سوف من ابنته فجرة باسم " سوف" والذي أصبح فيما بعد من أبطال ليبيا وفحولها الذي قاوموا الاحتلال الإيطالي لبلاده الشهيدة - لأن أهل الوادي أكرموا مثواه وعظموا منزلته وبقي مستترا عندهم زمنا⁽²⁾.

لم يطمئن الجنرال "ديفو" (Desvaux) الحاكم العسكري بإقليم الجنوب الشرقي الجزائري والمستقر بمدينة باتنة بوجود الشيخ غومة في سوف فأسرع إلى الالتفات به في مدينة الوادي. فحرب به شريطة أن يلقي سلاحه وأن يسلمها له مع أسلحة رفاقه وجميع التأثيرين

والهدف من ذلك الحيلولة دون دمج الجهاد المشترك وتقديم المساعدة إلى متاريس سوف، لأن المنطقة لم تخضع بعد للاحتلال الفرنسي و هي في حالة هيجان و غليان ضد التوسع الاستعماري، فاستثار هذا الطلب الشيخ غومة ورفاقه ورأوا فيه إهانة لهم وغدرا بهم. وأبت عليهم شهامتهم القبول بهذا الطلب فأقروا العودة إلى بلادهم⁽³⁾ ليواصل جهاده، و بعد مسيرة نضالية طويلة وشاقة تشتت أقوام غومة في آخر الأمر بعد أن مات منهم جم غفير، وفر هو ناجيا بنفسه حتى اتصل ببعض النوايل الذين أبلغوه إلى صحراء سوف" فراسل جماعة من الوادي الذين يعرفهم فأتاه بعضهم وتوجه بهم إلى نواحي غدامس فغزا قائمقاميتها وضيق عليه وأخذ كثيرا من مهماته وذخائره وزير بعض النخيل ونفر عاملها إلى العراء.

اتصل خبره إلى والي الإيالة فوجه إليه عثمان باشا في عساكر طميمة ومعه علي بك رئيس الإزبابودي والحاج أحمد الأذغم، فالتقوا في محل يوقال له - وأي وان - وحمي الوطيس بينهم ومات من كل الفريقين أعداد كثيرة، وفي الختام قتل غومة هناك ففرقت جموعه، وتأسف أهل الوادي تأسفا عظيما حيث كان بعضهم من قبيلته وعصبيته، وكان ذلك في أواخر عام 1274هـ الموافق لسنة 1858م.

ومن مآثر هذه الواقعة ما خلده الشاعر الشعبي من جنود غومة حين ضيقوا عليه المجال وأرادوا قتله وقد أشار عليه بعض أصحابه بالهروب لينجو من ذلك، فقال لهم⁽⁴⁾.

يا نفس رومي للرصاص الطايب وهروبك قدام لعداء خايب
 الرب يقتل والرصاص أسبايب عمر اللي قصر ماطولته ذله
ثانياً: تآزر الإخوة في ساعات المحن، عندما تعرض الشعب الليبي إلى
 عدوان من طرف القوات الإيطالية تألم شقيقه في الجزائر ويقال أن
 أجنادا كثيرة جندت من طرف الهاشمي الشريف رئيس الزاوية
 القادرية بسوف أرسلت إلى طرابلس للدفاع عنها مع إخوانهم
 المجاهدين الليبيين، وفي هذا الإطار بعث العلامة الشيخ إبراهيم بن
 محمد الساسي العوامر السوفي بقصيدة من الشعر الشعبي يشجع
 فيها المكافحين على صد العدوان وحماية الأوطان وهي قصيدة
 طويلة يحث فيها أهل طرابلس وأهل غريان خاصة على الصمود في
 القتال وطرد الغزاة خارج الوطن فانتشرت القصيدة هنا وهناك
 حيث كان لها وقعها وصداها العميق في نفوس الليبيين، والجدير
 بالذكر هو أن هذه القصيدة مازلت إلى اليوم يتغنى بها نسوة سوف
 في الأعراس لتبقى عبرة لمن يعتبر. ونورد منها مايلي:

يأليت في غريان سمح الطلة	دورات كلمنات العلة
لحزان تذهب والدرك يجله	ونصير في نزاهات كيف العيد
يأليت في غريان لي رباعه	من الصغر ثاروا ملازمين الطاعة
الباجي العايط يبدروا فزاعة	يقسو العدو عن رفعة التقعيد
يالنندرا غريان باتش فايز	في المال يحمل والغنائم حائز
بابور دولي بالمراكز جايز	من غير توقيف ولا تحييد
بالندرا غريان تاتش نايم	وبات ضده في لهموم يلايم

مخدول بين الناس كالزوالي ما بنصراش رفيق بالنفره
شجعان ما يولوش وقت الدغره يصلو العدو وشعله بلا تبريد
نوصيك من كأس العذاب إمراره واصل عليه الحب بالتغريد
واهجم على الحيطان هد طرابلس اتحوز الظفر من غير ما
تكويد

ننبيك يا غريان هذي أوصاية واهي جميع الناس ليك امرايه
يحصوا الفعايل كاملة باشفايه هذاي نصحي ليك بالتوكيد⁽⁵⁾
ثالثا: وهي إبراز التلاحم الأخوي وقت الشدائد، ونذكر عينة من
ذلك، بتتبع مراحل جهاد وكفاح المناضل والمجاهد مصطفى
الجزائري الذي ينحدر من أسرة عريقة تنتمي إلى المجاهد الأمير
عبد القادر، فهو مصطفى بن عبد القادر الأحول التقراوي. وكان
ميلاده بناحية معسكر سنة 1892م .

وفي نوفمبر 1914 قدم إلى طرابلس استجابة كما يقول بحق:
لداعي الجهاد والتطوع في سبيل الله ولنصرة ليبيا والوقوف مع
أهلها إخواننا في العروبة والإسلام ويقال أيضا: "أنه جاء إلى طرابلس
مع جماعة قاصدا الحج، وكانت ليبيا تتعرض للعدوان الإيطالي
لأصحابه واصلوا طريقكم إلى الحج أما أنا فسأجاهد هنا حيث
العدو ومازلت في مقتبل العمر فسأحج فيما بعد، وهذا ما حصل
فعلا.

إذن انتهى المجاهد مصطفى الجزائري إلى إحدى الأسر الليبية في
زوارة، والتحق بالمجاهدين حيث حارب وعمل تحت رئاسة وفي معية

كل من القادة الأتراك نوري باشا قائد عام شمال إفريقيا. إذ ذاك اللواء اسحق باشا والقائد تمسكت ثم ضابطا نظاميا مع المجاهد رمضان السويحلي، وفي خدمة الجمهورية الطرابلسية بعد تخرجه من مدرسة الضباط في مصراته حتى عام 1923م عندما توقفت المعارك في الشق العربي من البلاد وقد اكتسحتها قوات العدو بما تتوفر عندها من أسلحة حديثة للدمار والفتك، فاضطر المجاهدون إلى مغادرة البلاد بعد فارغ جعبتهم من وسائل المقاومة وفي خلال ذلك شارك مصطفى ببسالة نادرة في العديد من المعارك الضارية التي خاضها المجاهدون في مصراته وزليتن والزواية وغيرها، وتقل في أرجاء البلاد تبعا لمقتضيات العدل الجهادي والمهمات العسكرية. ثم التحق بشيخ الشهداء عمر المختار في الشق الشرقي من البلاد حوالي سنة 1930م. بعد أن بقي في مصر ملتحقا بالأزهر الشريف يتحين الفرص لمعاودة الجهاد في سبيل الله. وفي خضم الجهاد كلفه عمر المختار بسفارات هامة قام له بها في مصر مع حكومتها ومع الأمير عمر كوسون والملك السابق محمد إدريس السنوسي وغيرها كما يتسوق من أسواقها لرفاقه المجاهدين ما يحتاجون إليه في نضالهم المرير، وبقي ملازم لشيخ الشهداء حتى اغتالته يد الغدر والعدوان في 16 سبتمبر 1931م "رحم الله الشهداء".

عاد الحاج مصطفى إلى الجزائر قبيل الحرب العالمية الثانية 1939 وقد أدى فريضة الحج - فأقام بين ذويه طيلة سنوات الحرب ثم رجع إلى مصر، ومنها عاودته الحنين إلى طرابلس، فرجع إليها سنة

1948، توظف حتى عام 1962م حيث طلب إعفاء من العمل الوظيفي
فقدم استقالته وصرفت له مستحقاته.

وكان - رحمه الله - يلقي طوال عمره من إخوانه الليبيين في
جميع العهود كل مظاهر التقدير والتكريم والاحترام، وقد روي
لي صديقه السيد الهادي إبراهيم المشيرقي - حيث التقينا مؤخراً
بمدينة غات - أنه تربطه بالمجاهد مصطفى الجزائري أواصر
الأخوة والمحبة والصداقة منذ زمن طويل قال فيه " إنه رجل فاضل
حسن العشرة والمعاملة، له أخلاق عالية وفي المدة الأخيرة التزم بيته
فكنت أزوره من حين لآخر في طرابلس وسألته هل أنجب ذرية قال
لي: " أنه لم ينجب وعاش مع زوجته واستبنيا بنت قاما على تربيتهما.

وقد انعم عليه بميدالية عمر المختار عام 1957م، وبوسام الجهاد في
عهد الثورة المجيدة للفتح، ومنح الجنسية الليبية في 16 جويلية
1970م وملكته ثورة الفاتح العظيمة المنزل الحكومي الذي كان
يقيم فيه - مثل باقي أفراد الشعب الليبي الشقيق وخصصت له
راتباً شهرياً قدره مائة دينار ظل يتقاضاه حتى لقي وجه ربه الكريم
في منتصف ليلة الجمعة 16 شوال 1391هـ الموافق لـ 06 أوت 1982
بمدينة طرابلس الغرب⁽⁶⁾.

تلك هي المعالم البارزة لحياة حافلة بالأمجاد تبرهن على الجهاد
المشترك للشعب الواحد في القطرين الشقيقين فرحم الله الحاج
مصطفى رحمة واسعة وطيب تراه أمين.

رابعاً: لم يكن الهجوم الجوي على ايسين هو الأول بل سبقه هجوم

آخر على غدامس، ففي يوم من أيام نوفمبر 1942م، وقبل رحيل جحافل الإيطاليين من ليبيا. جهر الحاكم الإيطالي بغدامس العقيد "زاني" ثلاثمائة جندي هاجم بهم حامية (فرسان) التونسية التي تبعد عن غدامس حوالي 13 كلم واستولى عليها، وعاد إلى غدامس من نفس اليوم ومعه 25 أسيرا عربيا أكثرهم من المرازيق المجندين في الجيش الفرنسي وخمسة فرنسيين، ثم هاجم بعد أيام حامية (ماركسان) الجزائرية الواقعة على بعد حوالي 20 كلم شمال غرب غدامس ولم يجد بها مقاومة تذكر وعاد في نفس اليوم أيضا ومعه بعض الأسرى.

إن هذه الأعمال الجنونية التي قام بها العقيد وهذه الرعونة جلبت الدمار بغدامس، إذ قام الفرنسيون بغارة جوية على غدامس يوم 02 محرم 1362هـ الموافق لـ 28 ديسمبر 1942م، ودمرت على ما يزيد عن مائتي منزل استشهد تحت أنقاضها أربعون مواطنا أما الجرحى فلم يقع حصرهم من كثرتهم، في الوقت الذي لم يثب فيه أحد من الإيطاليين ولم تقبل منازلهم ولم تهدم لهم إدارة واحدة، إذن صب الجيش الفرنسي جم غضبه على الأبرياء العزل ليظهر عضلاته ويخيف الشعب المسالم لكن هيهات.

وبعد إلحاق الهزيمة بالمحور تسابقت بريطانيا وفرنسا لاقتطاع أكبر جزء من الأراضي الليبية فابتلت البلاد في جزء هام من الوطن بالاستعمار الفرنسي فاحتلت المناطق الجنوبية والجنوب الغربي بعد أن زحفت القوات الفرنسية المتواجدة في الجزائر وتشاد لاحتلال

فزان ومنها سارعوا إلى احتلال غدامس وبقي بها من سنة 1943م حتى سنة 1954م.

وكان أول عمل قام به الحاكم الفرنسي بغيادامس "ديبزاك" استدعاء رئيس البلدية وأعضاء المجلس البلدي والأعيان البارزين، وأبلغهم أن فرنسا سوف تملأ البلاد رخاءً أو عدلاً لذا يجب أن يتعاون المواطنون معها⁽⁷⁾ غير أن الشعب كان واعي لدسائس النفوذ الفرنسي وقاومه مقاومة باسلة لأن الاستعمار ملة واحدة.

والاستعمار تلميذ غبي لا يفهم الدرس من الوهلة الأولى حيث طرد الاستعمار الفرنسي من غدامس ليحاول الرجوع إلى ايسين فيما بعد. **خامساً:** وهو ذكر الموقف الرائع للشعب الليبي تجاه جهاد الشعب الجزائري خلال ثورته الكبرى 1954- 1962 فالوقائع والوثائق العديدة تكشف لنا مدى المساهمة الفعالة والمساندة الجبارة التي قدمتها الهيئات المختلفة للثورة الجزائرية والدلالة عن ذلك نذكر نموذجين فقط وهما :

I - دور المناضل يوسف سليمان مادي في دعم الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962. بدأ يوسف مادي نشاطه على هذه الساحة سنة 1955م وقد ساهم مع بعض الإخوة العرب الليبيين في تمويل الجيش الجزائري بالأسلحة التي كانوا يقومون بتزويدها عن طريق الحدود الليبية التونسية. وما كان يحصل معهم من صعوبات في البحث عن هذه الأسلحة.

لقد قام المواطن أيضا بتربية عدد من أبناء وبنات شهداء الثورة

الجزائرية حيث جاؤوا إلى ليبيا ووفر لهم الإيواء والغذاء، ومكنهم من التعليم أيضا بفتح مدارس لهم كمدرسة عميروش للذكور ومدرسة جميلة بوحيرد للبنات وبقوا في ليبيا حتى استقلت الجزائر، وعادوا إلى ذويهم في أمن وسلام ولا زالت تربطهم به صداقة وود وحنان أبوي وشارك إلى جانب ذلك في الأعمال السياسية لنصرة الثورة الجزائرية⁽⁸⁾.

عمل المناضل الهادي إبراهيم المشيرقي، الذي عمل طوال مرحلة الكفاح الجزائر 1954-1962. كمكتب إعلام أو مكتب علاقات، بحيث لا يترك فرصة تمر دون أن يذكر الملوك والرؤساء العرب، والهيئات والمنظمات الدولية، والصحف والاداعات، بالقضية الجزائرية وضرورة تحرك هؤلاء الملوك والرؤساء وتلك الهيئات والمنظمات للقيام بعمل ما لصالح القضية الجزائرية، وقد ساعدته أحواله المادية الميسرة للقيام بكل هذا النشاط والقيام بأسفار بعيدة، وأداء مهام خارج ليبيا لصالح الثورة.

ولعل أهم وثيقة تاريخية نستشهد بها على نبل مشاعر المشيرقي تجاه الجزائر هي الإعلان الذي نشره بتاريخ أول شوال 1370 هـ الموافق لـ 11 ماي 1956 م في جريدة "طرابلس الغرب" في صفحة حوادث وأخبار محلية ذلك أنه حرم من قبل من نشر دراسة كاملة على الثورة الجزائرية في هذه الجريدة فاغتتم فرصة عيد فطر المبارك و قدم الإعلان على هيئة تهنئة بالعيد للشعب الجزائري، وكان المسؤول على هذه الصفحة إيطالي لا يفقه العربية، فمرر هذا

الإعلان الذي يحمل مضامين سياسية وإنسانية عميقة الدلالة وهذا نص الإعلان.

"إلى أبناء وأمّهات وأبناء وبنات وإخوة وأخوات وأرامل الشهداء الأحرار من إخواننا الجزائريين الأبرار نرفع أصواتنا عالية للاشتراك معهم في أحزانهم ومآسيهم الكبيرة معبرين لهم بأننا لسنا في عهد سعيد بل هم مديد لما أزھق من أرواح الأعزاء أبناء القطر الشقيق ولكن في سبيل الكرامة والعزة والجهاد نصر من الله وفتح قريب.

إذا احتفلنا بيوم العيد... فإنما نحتفل بذكرى كل بطل صنيدي.. فصبوا أيها الشعب الكريم. إن التاريخ قد سطر لكم ولأرواح شهدائكم الغر الميامين كل فخر واعتبار. فإن شهداءكم المخلصين قد تكرموا بدمائهم الزكية نحو الوطن العزيز، ليكتب به هذا التاريخ الحافل بجلال الأعمال، ولهذا يتقدم إليكم بالتهاني الطيب، مشاركة معكم بكل اعتبار في هذا العيد الهادي إبراهيم المشيرقي⁽⁹⁾.

تلكم هي المشاعر الخالصة، والإحساس اللطيف النبيل الفياض لهذا المناضل البار وهو يعكس بحق شعور كل أفراد الشعب العربي الليبي في هذه المناسبات السعيدة.

وما زال هذا المناضل الهادي المشيرقي على هذا الإحساس إلى اليوم وقد استقبلنا مع بقية إخوانه في غات بكل دفة وحنان وحب، وما زال على نشاطه وحيويته رغم تقدمه في السن. ونحن على موعد

معه في أول نوفمبر 1999م بالمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 الكائن بالأبيار الجزائر العاصمة، لنتناول المعلومات حول نضالاتنا المشتركة.

-معركة إيسين:

إيسين قرية هادئة بالقرب من غات لا يتجاوز عدد سكانها 50 عائلة، امتد لها لهيب الثورة الجزائرية عن طريق جيش التحرير الوطني بجانت الذي هاجم مركز "تين - ألكم" وهو أكبر مركز عسكري بالجهة. وقبل ذلك قام المجاهدون بتدمير قافلة تموين عسكرية من أربعة شاحنات بإحراقها كلية وما زال آثار هذه العملية قائم على أرض الواقع إلى اليوم بجانب قرية إيسين. لهذا عزم الفرنسيون على ترويع المنطقة وإرهاب سكانها وذلك بالقيام بهجوم كاسح على إيسين بالتراب الليبي الشقيق، ليشوا سكان المنطقة من جزائريين وليبيين عن تأييد ومساندة الثورة الجزائرية ونصرتها وليفكوا ذلك التآزر الأخوي القائم منذ زمن بعيد.

إذن قامت معركة إيسين على الحدود قرب غات في 03 أكتوبر 1957م. وقد أذاعت الحكومة الليبية الاتحادية يوم 05 أكتوبر بلاغا رسميا ونشرته صحيفة "طرابلس الغرب" في طرابلس اليوم التالي جاء فيه " في صباح يوم الخميس 03 أكتوبر 1957م قامت قوة فرنسية من القوات المراقبة بجنوب الجزائر مكونة من بعض الدبابات والسيارات المصفحة والجنود تؤذيها الطائرات بمهاجمة

قرية ايسين الواقعة على الحدود الليبية. وقد اضطرت حامية غات أن تتصدى بإحدى سراياها إلى القوات المعتدية للدفاع وكرد للعدوان في الأراضي الليبية، وقد أسفرت المعركة عن جرح جنديين ليبين وقتل أحد المدنيين وإلحاق أضرار مادية بالقرية. وقد أصيبت إحدى الطائرات الفرنسية المعتدية ...".

وجاء في تعليق محرر صحيفة طرابلس الغرب الحكومة من عددها رقم 228 بتاريخ 06 أكتوبر 1957. الذي نشرت فيه نص بلاغ الحكومة وتفاصيل المؤتمر الصحفي الذي عقده وزير الخارجية يوم 05 أكتوبر حول هذا العدوان، تحت عنوان "بلاغ وبيان " أن الصحافة تلتزم الصمت.. لكنه لا يكون غير صمت الحداد.. وصمت الآسي...وصمت العزاء.."وقد علل وزير الخارجية تأجيل الإعلان عن نبأ العدوان لغاية يوم 05 أكتوبر، حتى تم استكمال المعلومات، وقد نشرت صحيفة فزان الأسبوعية بعدها بتاريخ 08 أكتوبر 1957م بعض تفاصيل هذا العدوان، ونشرت صحيفة طرابلس الغرب في عددها بتاريخ 09 أكتوبر 1957م تفاصيل أخرى تتعلق بزيارة وزير الدفاع إلى فزان لمتابعة تطورات الموقف⁽¹⁰⁾.

أما احمد توفيق المدني فقد أورد في مذكراته "حياة كفاح" وقائع أخرى هي انه تقابل مع وزير الداخلية الليبي السيد عبد الجليل سيف النصر ، ليستفسره حول مجريات القضية فأخبره بما يلي: "أن الكمندان "أيدير" اتفق معه على الأخص، أن تقع العملية في سرية تامة وضوء وان يياشر المجاهدون عملهم بحيث لا تدري

فرنسا أين هو مركزهم، وأنت تعلم أن فرنسا كانت منتدب على فزان وأنها تعتقد أنه مجالها الحيوي في الصحراء وكانت تحتله فعلا فما خرجت منه إلا بجهد جهيد ...".

"دخل مدينة مرزق العاصمة على رأس قافلة من المجاهدين يرفعون أعلام الجزائر ويرفعون الصوت بالأنشيد والهتافات، والتفت كل أهل القرية بهم وطلبوا التطوع إلى جانبهم، وبقوا هناك في هرج صارخ، وفرنسا ترى وتسمع وتسجل: إلى أن انتقلوا إلى مراكز خصصناها لهم على مقربة من الطريق الصحراوي الفرنسي، الواقع على الحدود مباشرة .

"واستمرت مثل هذه الأعمال إلى يوم كانت فيه قافلة فرنسية متجهة إلى الجنوب، فأمر الكمندان بمهاجمتها من ترابنا بفزان، ووقعت ملحمة وسقط الموتى، وهددت فرنسا حكومة ليبيا باحتلال مراكز من فزان من أجل حماية الطريق الحيوي، ولم نستطع أن نقول كلمة، لأن مكان الواقعة معروف ومحدد، فعندما خاطبنا ايدير في الأمر قال: نحن هنا جيش التحرير الجزائري، نباشر أعمالنا كما نريد، ونحن مسؤولون في كل شيء.

"ليست لنا في فزان إلا نحو مائة وخمسين من الجند، فلو هاجمت فرنسا مراكزنا لم يكن لدينا ما نستطيع به الدفاع عن أنفسنا. فهل يرضيكم أننا نشترك معكم في الجهاد ونمكنكم من مواطن تضربون منها العدو، فتكون النتيجة أن العدو يحتل أرضنا ويمتحن وطننا؟" (11).

لهذا سارع توفيق المدني إلى تونس لمعالجة الموقف مع لجنة التنسيق والتنفيذ، وقابل عباس فرحات، كريم بلقاسم، ابن طوبال، محمود الشريف، واوعمران، وقدم لهم تقريراً شفويّاً وآخر مكتوباً عن حوادث فزان، واقترح عليهم مايلي :

أولاً: تنظيم مركز ليبيا على قاعدة سليمة بحيث يكون هناك مسؤول للجبهة له نفوذ.

ثانياً: تجميد قضية فزان لمدة شهر على الأقل، ريثما تهدأ الحالة وتتطفي نار الاستفزاز.

ثالثاً: تغيير القيادة فوراً، فالكمندان ايدير رجل تقي متدين، وطني، لكنه لم يخلق لمثل قيادة تلك الناحية التي تلزمها مهارة سياسية إلى جانب الحنكة العسكرية.

رابعاً: إعادة النظر في كامل الموقف...

وبعد أن تذاكر جماعة اللجنة طويلاً نحو ثلاثة أيام، أعطوا الموافقة على تلك المقترحات على أن يقع تنفيذها تدريجياً، وكلفوا الأخ أحمد توفيق المدني بأن يبلغ رسالتهم إلى السيد الأخ بشير بلقاضي، ممثل الجبهة بطرابلس، لينفذ تلك الإجراءات باعتباره المسؤول السياسي والمالي للجبهة بليبيا، وذلك بتاريخ 13 أكتوبر 1957.⁽¹²⁾

وقد استمعنا للأخ قاضي بشير خلال يوم دراسي بالمركز الوطني للدراسات والبحث بالأبيار، لشهادته حول تنظيم العمل الثوري على الساحة الليبية و كيفية تمرير السلاح عبر الحدود بواسطة شبكة

من المناضلين على رأسهم محمد البشير ميهي المدعو "محمد بلحاج السوي" وكذلك در العدوان الفرنسي على مختلف الجبهات لمواصلة الكفاح.

والواقع أن الاعتداء الفرنسي على قرية إيسين عام 1957 لم يكن الاعتداء الوحيد، فقد أصبحت منطقة الحدود تتعرض باستمرار لاعتداءات القوات الفرنسية، ولعل أخطر هذه الاعتداءات هي الغارة الجوية بالطائرات الفرنسية يوم 25 سبتمبر 1958م على نفس القرية، مما تسبب في قتل مواطن ليبي وإلحاق بعض الضرر بالممتلكات وقد رفعت الحكومة الليبية مذكرة احتجاج حول هذا العدوان للأمين العام للأمم المتحدة وتناول وقائعها مندوب ليبيا الدائم في الأمم المتحدة في كلمته أمام الجمعية العامة، التي نشرت نصها صحيفة "طرابلس الغرب" في عددها بتاريخ 12 أكتوبر 1958.

لقد أدت معركة إيسين الأولى عام 1957م إلى تعكير العلاقات الليبية الفرنسية، وإلى تفجير الأوضاع الداخلية في ليبيا حيث عاد إلى السطح من جديد موضوع المعاهدات العسكرية الأجنبية وضرورة التخلص منها وكما عبرت عن ذلك الاحتجاجات الشعبية في سبها، وطرابلس وبنغازي وقد عبر المؤتمر الشعبي الذي عقد في بنغازي يوم 6 أكتوبر على إثر الاعتداءات الفرنسية على قرية إيسين، عن تضامن الشعب كله ووقوفه صفا واحدا لرد العدوان الفرنسي، و ضرورة زيادة التلاحم الشعبي مع الدعم المعنوي والمادي لشوار جبهة التحرير الجزائرية، وقد جاء في قراراته:

- استتكار العدوان الذي ارتكبته القوات الفرنسية على قرية إيسين بولاية فزان واعتبار هذا العدوان عدوانا جديدا أو مؤامرة أخرى ضد القومية العربية.
- تأييد الحكومة الليبية في كل الخطوات التي تتخذها ضد فرنسا ردا للعدوان وانتصار لعزتنا وكرامتنا القومية.
- مطالبة الحكومة الليبية بقطع جميع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية مع حكومة العدو الغادر.
- إلغاء المعاهدة الليبية الفرنسية غير المتكافئة التي أثبت هذا العدوان بصفة قاطعة مدى الضر الذي يحيط بسلامتنا من أمثال هذه المعاهدة.
- استتكار موقف أمريكا وبريطانيا الذي دل بوضوح كل تواطؤ سابق وتدبير مشترك بين قوى الشر الثلاث.
- مطالبة الحكومة بإعادة النظر في المعاهدتين المعقودتين بين الحكومة الليبية وبين كل الولايات الأمريكية وبريطانيا ، واعتبار مشروع إيزنهاور للشرق الأوسط مشروعا استعماريا لا يرد عن العدوان وإنما هو قناع لتحقيق منافع الاستعمار وأعوانه.
- تأكيد الإرادة الشعبية في دعم حركة التحرير الجزائرية ، وذلك لبذل الجهود لمساعدة الشعب العربي في الجزائر المناضلة بكل الإمكانيات المادية والمعنوية.
- تكتيل الجبهة الشعبية وذلك بإعلان التعبئة العامة وفتح مكاتب التطوع وتدريب الشعب لحمل السلاح حتى يكون مهيا

لرد أي عدوان جديد.⁽¹³⁾

- إستنتاج

نستخلص من كل هذه الحقائق التاريخية المخزونة في الذاكرة الجماعية عدة استنتاجات هامة منها أن المسار التاريخي للشعب العربي الواحد في القطرين الشقيقين الجزائري والليبي مشترك يهدف إلى التحرر والانعتاق والدفاع عن الأرض والعرض، ودحض العدو الغاشم الذي جاء من وراء البحر لينشر الدمار والخراب وينهب خيرات وثروات هذه الأمة العريقة، بل ويعمل على طمس معالم حضارتنا وتراثنا الفكري والعلمي العظمين واجتثاث جذور شخصيتنا الوطنية بمحاربته للدين الإسلامي واللغة العربية، ونشر دياناتهم المسيحية وثقافتهم الغربية.

ألا أن أحدث المنطقة وانتشار الوعي بمخططات العدو زاد من لهيب الثورة وإقبال المجاهدون على القتال في سبيل الله والوطن، فأحبط مسعاهم، و عجلت بانتصار الثورة الجزائرية، ثم قيام ثورة الفاتح العظيمة التي خلصت كل المنطقة من الاستعمار ومن بقايا القواعد العسكرية وقيود المعاهدات غير المتكافئة والجائرة، وبالتالي تحرير البلاد والعباد، و هو دليل آخر على أن جهادنا مشترك وأن مصيرنا ومستقبلنا واحد.

و الجدير بالذكر هو أن وفد جزائري شارك إخوانهم في غات لإحياء الذكرى الثانية والأربعين لهذا العدوان الغاشم على قرية إيسين الشهيدة، وقد ارتحنا كثيرا من الاستقبال الرائع الذي

خصصه لنا الإخوة في ليبيا رغم تعب السفر الطويل، وحضرنا لفعاليات الاحتفال ببلده ألبركت(ضاحية غات) وعشنا تلك الاستعراضات الشيقة والمنظمة والمنضبطة من قبل كل فئات الشعب. كما تجولنا في غات بهرتنا المدينة بجمالها الساحر، ونظافتها الفائقة ورأحتها الطيبة وماؤها العذب وكرم أهلها الحاتمي، كما ألفت نظرنا منحايات الثورة بها لضمان مستقبل الأجيال الصاعدة.

و قد ألقى العديد من الخطب والمحاضرات لإبراز هذا الحدث التاريخي وإظهار تلاحم الشعب الواحد في القطرين الشقيقين في السراء والضراء وامتزاج دمائهم على ميدان الجهاد. إذن فإن تخليد ذكرى هذه الأحداث يعني إحياء أمجاد الماضي ليعرفها ويعتبر بها الأجيال الصاعدة ويعتز بها ويسير على دربها، ولمحاربة ذاكرة النسيان وتنشيط أصحاب الذاكرة المبتورة، فالتبقى معركة إيسين للإخوة والجهاد والاتحاد.

الإحالات:

- 1 - محمد أمحمد الطوير، مقاومة الشيخ غومة المحمودي للحكم العثماني في إيالة طرابلس الغرب 1935 -1858م - طرابلس، مركز دراسة جهاد الليبيين مند

- الإيطالي، 1988، ص 284.
- 2 - إبراهيم بن محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق الجيلالي بن إبراهيم العوامر، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الدار التونسية للنشر، 1977 ص 242.
- 3 - الطوير، مقاومة الشيخ غومة، ص 284 - 285.
- 4 - العوامر، الصروف، ص 244.
- 5 - نفس المصدر، ص 245، 246.
- 6 - محمد ميلاد مبارك، المجاهد مصطفى الجزائري، « ترجمة وتوطئة لمراحل جهاده. مجلة الشهيد، طرابلس، مركز دراسة جهاد الليبي. العدد الخامس، 1984، ص 305 - 307.
- 7 - بشير قاسم يوقع "ملاح الإدارية العسكرية الفرنسية بغدامس". مجلة الشهيد، العدد الخامس 1984 ص 87.
- 8 - دور يوسف مادي في حركات التحرر العربية، إعداد وتقديم مصطفى حامد رحومة - احمد محمد العاقل - دور الشعب العربي الليبي بمنطقة طرابلس في مساعدة الثورة الجزائرية - 1962 - 1954. من خلال وثائق احد أعضاء لجنة دعم الثورة الجزائرية بطرابلس.
- 9 - د. حبيب رداة الحسناوي، "دور الشعب العربي الليبي بمنطقة طرابلس في مساعدة الثورة الجزائرية 62/54 من خلال وثائق أحد أعضاء لجنة دعم الثورة الجزائرية" مقال لم ينشر.
- 10 - نفسه.
- 11 - احمد توفيق المدني حياة كفاح، مذكرات، الطبعة الثانية الجزء الثالث، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، 1968، ص 314.
- 12 - المدني حياة كفاح، ص 315 - 316.
- 13 - الحسناوي، "دور الشعب العربي الليبي".

